

اللسان البربري بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط *

إبراهيم القادري بوتشيش

أستاذ بقسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة اسماعيل ،
مكناس ، المغرب

الملخص

لم تحظ دراسة اللغة الأمازيغية باهتمام المؤرخين القدامى والمعاصرين ، إذ اعتبروها مسألة لغوية محضاً ، في حين أنها في الواقع إشكالية تاريخية جديرة بالبحث والتقصي من المؤرخين أيضاً ، لذلك تسعى هذه الورقة إلى محاولة ترميم هذه الثغرة من خلال محورين :

- يتناول الأول اللغة الأمازيغية بوصفها لغة للتواصل في المجتمع المغربي خلال العصر الوسيط ، وذلك بإبراز هيمنتها وانتشارها في حواضر المغرب وبواديه على السواء ، وعلى مستوى الطبقات الاجتماعية المختلفة . ونظراً لشح التراث الأمازيغي المكتوب ، فقد جرى لمّ شتات عدد من النصوص الأمازيغية الواردة في المصادر العربية التي تثبت استعمالها في الحياة اليومية . ومن خلال هذه المصادر نفسها تم تحديد مناطق توزيع اللهجات الأمازيغية المختلفة .

- أما المحور الثاني فركّز على مسألة توظيف اللغة الأمازيغية في مجال الدعوات الدينية والحركات الإصلاحية . وقد تبين من خلال التحليل والمعاينة أن الزعامات السياسية في مغرب العصر الوسيط استعملت هذه اللغة في نشاطها الدعوي ، وفي تواصلها مع أتباعها ، وفي نظامها العسكري وقيادتها للحروب ، بل إن بعض القياديين في الحركات الإصلاحية ألفوا كتباً باللغة الأمازيغية لشرح أهداف حركاتهم أو لتبرير مناهضتهم للسلطة السياسية القائمة ، وهو أمر يعكس أهمية هذه اللغة في فهم التطور التاريخي للمغرب خلال العصر الوسيط .

لا تزال دراسة اللغات تشكل قطاعاً من القطاعات المهمشة في حقل الدراسات التاريخية ، باعتبارها تدرج في الفضاء الأدبي⁽¹⁾ ، في حين أنها في الواقع إشكالية تاريخية أيضاً ؛ لأنها شكلت وسيلة للتعبير عن المخزون الحضاري المكتوب والمنطوق ؛ كما جسدت في الوقت نفسه أداة للتواصل بين أفراد المجتمع المغربي خلال العصر الوسيط ، ولغة التداول السائدة في جميع مناحي الحياة اليومية لسكانته .

وتزداد دائرة التهميش على الخصوص بالنسبة للغة البربرية ، فباستثناء عدد قليل من الأبحاث التي تصدت لمعالجة مسألة التعريب بالمغرب⁽²⁾ ، يصطدم الباحث بشح المادة الإخبارية ، وقلة الدراسات التاريخية في هذا الحقل . ويعزى ذلك في تقديري إلى عوامل يتعلق بعضها بطبيعة هذه اللغة نفسها ، على حين يتعلق البعض الآخر بالمحيط السياسي والاجتماعي الذي تطورت فيه ، وعموماً يمكن تفسير هذا التهميش من خلال ثلاث مقاربات :

1 - تتمثل الأولى في ما يمكن أن نسميه باستراتيجية الإقصاء ؛ ذلك أن البربرية شكلت لغة المغلوب ، مقابل لغة الغالب ، وهي اللغة العربية التي أصبحت لها السيادة منذ بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأقصى سنة 62هـ/ 682م ، حيث غدت لغة المعاملات الإدارية والعبادات ، فضلاً عن كونها أداة للتعبير عن نمطها الحضاري . ولتحقيق هذا الغرض ، جندت نخبة من العلماء لإعطائها المبرر الشرعي كما تثبت ذلك بعض النوازل والفتاوى⁽³⁾ ، ونشأ من ذلك إقصاء البربرية بوصفها شكلاً من أشكال التعبير الثقافي المكتوب على الأقل ، ولو أن هذا الجانب لم يكن متطوراً بشكل لافت .

2 - أما المقاربة الثانية فتتمثل في هيمنة النمط الشفهي على التراث الأمازيغي نفسه . فاللغة البربرية لم تتعد على مستوى شكل الكتابة ما عرفته من تطور خلال المراحل الأولى من نشأتها ، وهو الأمر الذي يفسر شح النصوص التي وصلت إلينا منها ، واقتصارها على النقوش المكتوبة النادرة التي وردت أحياناً مع إحدى اللغتين الفينيقية أو اللاتينية⁽⁴⁾ .

3 - تتجلى المقاربة الثالثة في المحيط السوسيو-ثقافي الذي تطور فيه اللسان البربري بوصفه وسيلة للتداول . فإذا ما ذهبنا مع تحليل الحسن الوزان - وهو مؤرخ فطن إلى علاقة الجغرافيا بالتاريخ فركز على المعطى البيئي - يمكن الاستناد إلى المقولة السوسiolوجية المتمثلة في البداوة والأمية اللتين وجدتا الأرضية الملائمة في الوسط الأمازيغي . فالمؤرخ المنوّ به يقرّ أن البربر عرفوا الكتابة الليبية - البربرية القديمة (تيفيناغ) ، قبل أن يتحولوا إلى استعمال الحروف اللاتينية بعد الاحتلال الروماني للمغرب ، وإن كانت معظم الخطوط الأمازيغية المكتوبة على الآثار المعمارية التي خلفوها مكتوبة بالحروف اللاتينية حسب قوله⁽⁵⁾ . كما يلاحظ المؤرخ نفسه أن حالة البداوة والأمية المهيمنتين في الوسط الأمازيغي حالتا دون وجود إنتاج ثقافي أمازيغي مكتوب ، يمكن من نفّض الغبار عن هذه اللغة وتراثها⁽⁶⁾ .

ومهما كان الأمر ، فسنحاول في هذه الورقة تتبع مدى انتشار اللسان البربري ؛ لا بوصفه وسيلة تعبيرية للتخاطب بين أفراد المجتمع المغربي في العصر الوسيط فحسب ، بل أيضاً بوصفه أداة اعتمدت في الدعوات الإصلاحية ومناهضة الدول التي حكمت مغرب العصر الوسيط ، مع محاولة الوقوف على خريطة توزيع اللهجات الأمازيغية المتعددة داخل المجال المغربي ، مركزين دراستنا على فترة زمنية تمتد من القرن الرابع الهجري / 10م إلى نهاية حكم الموحيدين سنة 668هـ .

أولاً : اللسان البربري بوصفه لغة للتخاطب والتواصل في مجتمع المغرب الوسيط

جسدّ اللسان البربري على رغم تعدد لهجته اللغة الأم لسكانة مغرب العصر الوسيط على مستوى التداول والتخاطب ، في الوقت الذي ظلت العربية لغة الكتابة . ويشدد بعض الباحثين على تسميته باللسان الأمازيغي نسبة إلى شعب الأمازيغ . وهم بربر المغرب الأقصى الذين أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم ، ويعني «الرجل الحر» . وقد أطلق عليه الحسن بن محمد الوزان المعروف

بـ«ليون» الإفريقي اسم أوّال أمزيغ ومعناه «الكلام النبيل» ، كما ذكر مارمول بعض لهجاته باسم تامزيغت أو الشلحة⁽⁸⁾ ، في حين عبّرت كتب المناقب عن هذه اللغة باسم اللسان الغربي أو العجمي⁽⁹⁾ ، وأشير إليها في معظم المصادر العربية باسم اللسان البربري⁽¹⁰⁾ . وقد وصفها ابن خلدون⁽¹¹⁾ بقوله : «ولغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها» . أما عن سبب تسميتها بالبربرية فقد زعم المؤرخ نفسه أن افريقش بن قيس لما سمع رطانة أهالي المغرب وصفهم بالبربر ، فسميت لغتهم بذلك بربرية . ويضيف في موضع آخر بأن حرف الكاف أكثر ما يجيء في هذه اللغة⁽¹²⁾ . وعلى رغم ضراوة المقاومة التي واجه بها البربر السلطة العربية بعيد الفتح الإسلامي تحت مظلة المذهب الخارجي ، فإن هؤلاء لم يناهضوا اللغة العربية ، بل أقبلوا على تعلمها بوصفها لغة القرآن والشريعة الإسلامية⁽¹³⁾ .

ويبدو أن الامتزاج الذي حصل بين العرب والمجتمع الأمازيغي عبر العصور جعل بعض المفردات العربية تدخل إلى اللغة البربرية ، كما تؤكد ذلك شهادة الحسن بن محمد الوزان ، الذي أمدنا إلى جانب ذلك برأي مهم ، يشير فيه إلى أن هذه الظاهرة التفاعلية تؤكد صحة وجهة النظر التي تنحو إلى إثبات الأصل اليمني للشعب الأمازيغي⁽¹⁴⁾ ، وهو رأي سبق أن زكّيناه في دراسة سابقة⁽¹⁵⁾ .

لكن مع إقرارنا بأن الفتح العربي أحدث انقلاباً في المسار اللغوي ، وأسفر عن إقبال الزعامات البربرية على تعلم اللغة العربية ، فإن اللغة البربرية احتفظت بوزنها وثقلها داخل الكيان الاجتماعي المغربي ، لا سيما أن انتشار العربية في أوساط العامة سار بإيقاع بطيء⁽¹⁶⁾ ، وبقيت هذه اللغة تقتصر على القضايا الدينية والأدبية والمراسلات وسك العملة⁽¹⁷⁾ ، كما ظل انتشارها محصوراً في المدن دون البوادي⁽¹⁸⁾ ، وإن كان بعض الباحثين يخالفنا الرأي ، حين ذهب إلى القول بأن الأرياف كانت مجالاً للتعريب كذلك⁽¹⁹⁾ . فإذا نظرنا إلى المسألة من زاوية التطور التاريخي ، يبدو أن المدن كانت مركز استقطاب العرب في بداية الفتوحات ، ومن ثم فمن البدهي أن تحتاح موجة التعريب المجال الحضري أولاً

قبل الأرياف ، بل إن تداول البربرية استمر في الحواضر الكبرى نفسها⁽²⁰⁾ ، وفي هذا الصدد يرى الباحث نفسه أنها استمرت سائدة داخل المنازل ، واستطاعت المرأة البربرية أن تحافظ أكثر من الرجل على لغتها ، بحكم قلة اتصالها بالعالم الخارجي⁽²¹⁾ .

وعلى رغم الجهود التي بذلها الأدارسة من أجل نشر اللغة العربية وتعميمها في أوساط المغاربة⁽²²⁾ ، فإن هذه المحاولة لم تفلح في إقصاء البربرية من التداول في أوساط عامة الناس ، ولم تنتشر العربية إلا بشكل محدود بين جمهرة العلماء ونخبة المجتمع⁽²³⁾ . ومما يعزز هذا الرأي قيام المتنبي حاميهم بابتداع قرآن بالبربرية زعم أنه أوحى إليه به⁽²⁴⁾ ، وهذه الخطوة في ذاتها تنهض دليلاً على أن هذا المتنبي فطن إلى أن حركته البدعية لا يمكن أن تنجح في قبيلة غمارة التي احتضنتها في شمال المغرب الأقصى ، إلا باستعمال اللغة البربرية التي كانت متجذرة فيها .

الشيء نفسه يقال عن منطقة تامسنا الواقعة غربي المغرب الأقصى ، فقد ابتدع زعماء إمارة برغواطة الذين أقاموا بها مجموعة من الاعتقادات الباطلة بالبربرية ، وخاطبوا رعاياهم وأنصارهم باللغة البربرية أيضاً⁽²⁵⁾ . بل إن أحد الخلفاء الأمويين بالأندلس وهو الحكم المستنصر اضطر إلى مترجم يدعى عيسى ابن داود المسطاسي ليترجم له الكلام الذي خاطبه به مبعوث أحد الأمراء البرغواطيين سنة 253م باللسان البربري .

وعلى رغم انضمام الأندلس إلى حظيرة الدولة المغربية في عصر المرابطين ، وما تخض عن هذا الانضمام من تغلغل للنفوذ العربي داخل النسيج الاجتماعي المغربي بسبب هجرة كبار علماء الأندلس العرب نحو مراكش وفاس ومختلف الحواضر المغربية ، فإن التأثير الثقافي الأندلسي لم يفلح في إقصاء اللغة البربرية ، وحسبنا أن الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين (542 - 500هـ / 1060 - 1106م) ، لم يكن هو نفسه يعرف اللغة العربية ، ولم يكن يتحدث سوى البربرية ، بدليل أنه عندما أرسل إليه أمير اشبيلية المعتمد بن عباد رسالة الاستغاثة

لإنقاذ الأندلس من التحرشات المسيحية - وكانت مكتوبة باللغة العربية - اضطّر أحد أفراد حاشيته إلى أن يترجمها له باللسان البربري كذلك . بل من المحتمل أن تكون البربرية هي التي غزت الأندلس عندما انتقلت مع موجة الهجرات البربرية نحوها ، فأصبحت سائدة هناك في بعض الأوساط الرسمية والشعبية على السواء . ينهض دليلاً على ذلك ما ذكره ابن الخطيب في ترجمة الوزير سماعة أحد وزراء عبد الله بن بلقين أمير غرناطة حين نعته بأنه كان يتحدث باللسان البربري مع عبده⁽²⁸⁾ ، ناهيك عن الأزجال الأندلسية التي دخلتها المفردات البربرية كما سنذكر .

أما في المغرب الأقصى فكانت البربرية واسعة الانتشار ، وحسبنا أن سكان مراكش ظلوا يتحدثون بها إلى أواخر القرن السادس عشر كما تثبت ذلك شهادة مرمول الذي توفي سنة 1599م⁽²⁹⁾ . وفي السياق نفسه أشار ابن الخطيب 30 إلى تداولها بين أهالي أزموور . ويستشف من نازلة وردت عند الونشريسي أن بعض سكان الحواضر كانوا يستعملون اللغة البربرية في مجال العبادات والابتهاالات خلال أداء الصلاة ؛ إذ ورد فيها أن أحد الناس سأله عمّن لا يعرف العربية ، هل له أن يدعو بالبربرية في صلاته أم لا؟ فأجاب بأن قال : نعم ، الله أعلم بكل لغة⁽³⁰⁾ .

ولدينا من القرائن ما يثبت استعمال اللغة البربرية في الخطب خلال بعض المناسبات الرسمية في رحاب البلاط السلطاني نفسه ، فعندما شوفي الخليفة الموحي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن من مرض كان قد ألمّ به سنة 365هـ ، قصدته الوفود للتهنئة بالشفاء والعافية ، فكان من بين المهنيين الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن عمر الذي ألقى في حضرة الخليفة الموحي خطبة باللسان البربري ، ثم خطب بعده القاضي أبو يوسف خطبة بليغة بالبربرية أيضاً يدور معناها حول الشكر لله والدعاء بالنصر للخليفة المذكور . وبعد النصر المؤزر الذي حققه الموحدون في إحدى المعارك الجهادية ضد النصاري في الجبهة الأندلسية ، جاءت الوفود للتهنئة أيضاً فخطب الشيخ الزاهد أبو محمد عبد الواحد بن عمر باللسان الغربي⁽³¹⁾ .

ومن البديهي أن تكون البربرية أكثر انتشاراً في البوادي والجبال . فإذا استثنينا بعض الشخصيات من ساكنة هذه المجالات والتي كانت تنتمي للنخب السياسية أو المثقفة مثل ابن تومرت الذي عرف بإتقانه اللسانين العربي والبربري معاً⁽³²⁾ ، فإن التخاطب باللسان البربري في الجبال والأرياف مسألة لا يرقى إليها الشك ، فقد أسلفنا القول إن مناطق جبال الريف التي كانت تقطنها قبائل غمارة المعروفة بكثافتها السكانية ، إضافة إلى سكان سهل برغواطة ، كانوا يتحدثون بالبربرية في المقام الأول . ونعتقد أن الحالة نفسها سادت في بوادي الأطلس وجباله ، بدليل أن المتصوف الشهير أبو يعزى بسبب عدم إلمامه باللغة العربية ، كان يستعمل لهجته البربرية (تامزيغت) في دعواته وابتهاالاته إلى الله⁽³³⁾ ، بل اضطر في حوارهِ مع أحد الفقهاء إلى مترجم باللسان العربي حتى يستوعب كلامه⁽³⁴⁾ . ويفهم من خلال المصادر أن تعامله مع مريديه كان يجري باللغة البربرية أيضاً⁽³⁵⁾ . وقد نقل الغبريني على لسانه كلاماً بربرياً أثنى به على قطب المتصوفة أبي مدين شعيب الغوث دفين مدينة تلمسان⁽³⁶⁾ . وفي رواية أوردها ابن الزيات في سياق حديثه عن المتصوف أبي ملحوظ الهزميري أنه «قام وتكلم على المصامدة بلسانهم»⁽³⁷⁾ . وهو ما يكشف عن هيمنة اللهجة المصمودية البربرية في هذا المجال الجغرافي . ويعضد ذلك أيضاً نص آخر ورد عند المراكشي يصف فيه طريقة كانت نساء تينمل بجبال الأطلس المغربية ينهجنها للتعبير عن تأييدهن للمهدي بن تومرت ؛ إذ كن يصدحن بالزغاريد ، ويضربن على الدفوف ، ويهتفن باللسان البربري للتعبير عن صدق دعوة زعيمهم المذكور ومباركة خطواته⁽³⁸⁾ . كما أن قراءة كتب ابن تومرت ومؤلفاته في المجتمع الموحد كانت تجري أيضاً باللغة البربرية⁽³⁹⁾ ، بل لم تخل بعض المؤلفات العربية نفسها من استعمال ألفاظ بربرية لا تعد دخيلة على اللسان العربي ، ولكنها كانت شائعة الاستعمال في الحياة اليومية . ولا غرو فقد أورد البيدق في كتابه أخبار المهدي ابن تومرت وبداية الموحدين مجموعة من المصطلحات البربرية مثل «أسراك» الذي يعني مربوط الخيل ، «وايمي ن تكمي» الذي يشير إلى معنى باب المنزل وغيرها من المصطلحات البربرية⁽⁴⁰⁾ .

من جهة أخرى يمكن للباحث أن يستنتج من خلال الأسماء الشخصية المتداولة في مجتمع مغرب العصر الوسيط مدى ارتباط هذا المجتمع باللسان البربري . فقد ذكرت بعض المصادر أن الزعيم الموحي المهدي بن تومرت شرح لبعض من سألته عن سبب تسمية والده باسم تومرت وما يحمله من معنى ، بأن أمه سعدت به عند ولادته فخاطبته بالبربرية : «ياك ياك تومرت» بمعنى صار فرحاً وسروراً ، ومنذئذ غلب عليه اسم تومرت⁽⁴¹⁾ . كما أن ابن تومرت نفسه كان يدعى أسافو وهو اسم أمازيغي معناه الضياء⁽⁴²⁾ .

وبالرجوع إلى كتاب التشوف السالف الذكر ، يلاحظ الباحث ورود كثير من الأسماء الأمازيغية للأشخاص الذين ترجم لهم ، كما يلاحظ أن معظمهم كان ينتمي إلى مجال البادية⁽⁴³⁾ . ولا يخامرنا شك في أن دراسة الأعلام والمواقع والمدن الواردة في مختلف المصادر المتاحة ، إلى جانب المدن الحالية ، فضلاً عن أسماء النباتات والأشجار تفصح عن تجذر اللسان البربري في أوساط المجتمع المغربي الوسيط .

من جهة أخرى تنبث في ثنايا بعض المصادر تعبيرات أوردتها مؤلفوها بصيغتها البربرية ، فقد أورد البكري وابن عذاري⁽⁴⁴⁾ مجموعة من المصطلحات الأمازيغية في معرض روايتها حول زعيم إمارة برغواطة مثل «ايسمن ياكش» ومعناه بسم الله ، و«مقر ياكش» ومعناه الكبير الله ، وغيرها من التعبيرات البربرية . كما تفرد البيدق⁽⁴⁵⁾ بذكر عبارة بالبربرية في سياق حديثه عن الخليفة الموحي عبدالمؤمن بن علي (541 - 558 هـ / 1146 - 1162 م) ، وهو يخاطب قبيلة هرغة بقوله : «مازكغ وراغ تقسيم نغ يوشك والذي كرا نغيدون يسنلكمّن» ، وهو كلام يشير معناه بالعربية إلى لوم الخليفة المذكور لهذه القبيلة التي صنعت طعاماً بعد وفاة زعيمها ابن تومرت ولم تشركه في نصيبها .

وحسب المؤرخ نفسه الذي لا شك أنه كان يتحدث لهجة من اللهجات البربرية إلى جانب اللغة العربية البسيطة ، فإن جباة الضرائب في أواخر العصر المرابطي كانوا يتحدثون مع السكان في أثناء تحصيلهم الضرائب بالبربرية . ينهض

دليلاً على ذلك رواية جاء فيها أنه عندما أراد ابن تمورت وجماعة من أنصاره اجتياز نهر أم الربيع ، اعترضهم جباة الضرائب وخاطبهم بالبربرية طالبين منهم أداء مكس مقابل المرور ، فأجابهم ابن تمورت باللغة نفسها قائلاً : «آو مورن ملولنين إن سوس آداون نلك» ، ومعناه بالعربية : إنما السبيل للمسلمين وأنتم تقطعونها وهذا غير جائز في الشرع⁽⁴⁶⁾ .

بيد أن ما يدعو إلى الدهشة وطرح أسئلة الاستفهام في هذه الرواية ، ما ورد في تتمتها من أن رفاق المهدي بن تومرت لم يكونوا على علم بأن زعيمهم كان يعرف اللسان البربري حق المعرفة إلى أن تحدث مع جباة الضرائب عند وصول الوفد إلى نهر أم الربيع ، فهل معنى ذلك أن المناطق الأخرى التي مر بها مهدي الموحد قبل وصوله إلى هذه المنطقة لم تكن فيها البربرية لغة للتخاطب؟ أم أن التواصل اللغوي بين الشيخ - ابن تومرت - وتلامذته كان يجري باللغة العربية فقط؟ أم أن الظروف لم تتح له إبراز ملكاته في اللغة البربرية حتى أتاحتها له عندما تحدث بها مع جباة الضرائب؟! أم أن هناك لهجات بربرية أخرى كان يجري تداولها في الجهات والمناطق التي مر منها ولم يكن يعرف التحدث بها؟ وفي هذه الحالة كيف كان يمرر خطابه الدعائية؟ هل باللغة العربية أم بلهجات أخرى؟

ثمة ما يشير إلى وجود لهجات بربرية متنوعة في الوسط الاجتماعي لمغرب العصر الوسيط ، ولكن المصادر لا تعطينا للأسف سوى معلومات هزيلة بما في ذلك ابن خلدون نفسه ، الذي تحدث عن اللغة البربرية في صيغة المفرد وليس في صيغة الجمع ، ويتعذر مع ذلك استخراج جميع اللهجات التي تتفرع عن هذه اللغة .

بيد أنه يمكن استناداً إلى مجموعة من المؤشرات النصية والإيماءات العابرة أن نستشف بعض الخطوط العريضة لخريطة توزيع اللهجات البربرية . فحسب مارمول الذي عاش في نهاية العصر الوسيط ، يستنتج أن مناطق التجمعات البربرية القريبة من التجمعات العربية ، أي كل المناطق التي كانت تشكل خط

تماس بين العرب والبربر ، كانت تتحدث لهجة بربرية ممزوجة بكثير من المصطلحات العربية ، وربما يقصد بذلك اللهجة الزناتية⁽⁴⁷⁾ . أما سكان غمارة وكل البربر المستقرين بين الأطلس الكبير والمحيط الأطلسي ، فيذكر أنهم كانوا يتحدثون لغة عربية فاسدة ، ويحتمل أن تكون لهجة بربرية في الأصل ، ولكنها تأثرت بالعربية نتيجة هجرات القبائل العربية في العصر الموحدى ثم المريني ، وما نجم عن ذلك من تعريب في أوساط البربر .

لكن إقحام مارمول لمنطقة غمارة ضمن المناطق التي تتحدث لغة عربية فاسدة حسب تعبيره أمر يحوم حوله الشك ، فقد أسلفنا القول استناداً إلى أقوال المؤرخين أن المتنبي حامي اضطر إلى كتابة قرآن بالبربرية التي كانت لغة أهل غمارة خلال القرن الرابع الهجري . واستمرت ظاهرة التنبؤ بعد حامي واللغة البربرية نفسها حتى العصر الموحدى⁽⁴⁸⁾ ، ولم يكن بالإمكان أن تتعرب المنطقة في ظرف وجيز . وعلى العكس يبدو أن سكان غمارة ظلوا يتخاطبون بالبربرية . ومن الراجح أنهم كانوا يتحدثون لهجة من لهجاتها ، وهي تاريفيت ، وهو ما يفسر قول ابن أبي زرع عن حامي وجعل لهم قرآناً يقرأونه بلسانهم⁽⁴⁹⁾ . ومن المحتمل أن هجرات القبائل العربية المتأخرة ، وما تمخض عنها من امتزاج لغوي جعل سكان غمارة يقبلون على التحدث بالعربية ، لكن بشكل بطيء أسفر عن ميلاد هذه العربية الفاسدة التي ذكرها مارمول .

أما الجهات المغربية الأخرى المتبقية ، وبخاصة جبال الأطلس ، فكانت تستعمل حسب المؤرخ نفسه لهجات بربرية مثل الشلحة أو تامزيغت⁽⁵⁰⁾ ، أو اللهجة المصمودية كما يثبت ذلك نصان : أحدهما ورد عند ابن الزياد السالف الذكر⁽⁵¹⁾ ، على حين ورد الثاني عند المراكشي في سياق حديثه عن مجموعة بشرية تنتمي إلى قبيلة هرغة ، يعرفون بـ «ايسرغين» ، وهو مصطلح يقصد به الشرفاء بلسان المصامدة ، حسب كلمات المؤرخ المراكشي نفسه⁽⁵²⁾ ، ويبدو أن لهجة قبيلة جنفيسة كانت حسب شهادته أيضاً من أجود اللهجات وأفصحها⁽⁵³⁾ .

ومن اللافت للانتباه أن بعض الزجالين المغاربة والأندلسيين استعملوا بعض المصطلحات البربرية في أزجالهم . ونسوق في هذا الصدد نموذج أزجال ابن قزمان ، وملعبة الكفيف الزرهوني التي وظف فيها ألفاظاً بربرية مثل : أقليد وأشكيد وأقزال وأزغار وآيت وإسردان وتاسا وغيرها⁽⁵⁴⁾ .

من حصاد ما تقدم يتبين أن اللسان البربري ظل - على رغم الفتح الإسلامي لبلاد المغرب - اللغة المتداولة في أوساط المجتمع المغربي ، إلى جانب مساحات محدودة سادت فيها اللغة العربية ، وهو ما عده باحث معاصر⁽⁵⁵⁾ نموذجاً «للتعايش السلمي بين حضارتين» . وقد تمخض عن هذا التعايش استعمال تراكيب وصيغ بربرية غريبة داخل اللغة العربية نفسها وحدوث اللحن فيها ؛ لأن بعض المخارج الصوتية مثل العين لا تنطق بالبربرية فيتحول لفظ عبدالله إلى بادلة⁽⁵⁶⁾ ، ويعكس ذلك استمرارية تأثير اللغة البربرية ، ويفند من ثم تخريجات بعض الكتابات الأجنبية التي نعت الثقافة الأمازيغية بالثقافة العاجزة التي فشلت في التصدي للثقافات الغازية ، ومنها لغة العرب حسب زعمهم⁽⁵⁷⁾ .

ثانياً : اللسان البربري وأشكال توظيفه في مجال الدعوات السياسية والحركات الإصلاحية

يركز ابن خلدون في نظرياته التاريخية على مقولتي الدعوة الدينية والعصية القبلية ودورهما في قيام الدول ، ويبرز بفطنة وتبصر العلاقة الجدلية بين المقولتين . ولم تكن هذه النظريات الخلدونية سوى ترجمة أمينة لقراءته الواعية للتاريخ المغربي . ولا غرو فإن زعماء الدعوات الدينية والحركات الإصلاحية المغربية في العصر الوسيط فطنوا إلى أن نجاح حركاتهم رهن بمدى تواصلهم اللغوي مع فئات الجماهير أو العصبية القبلية التي تشكل خزاناً بشرياً يمدّهم بكل أشكال المساندة والدعم . ولما كانت لغة هذه الفئات هي اللغة البربرية ، فقد سعى هؤلاء الزعماء إلى استثمارها وتوظيفها في دعواتهم ، وحسبنا أن هذه الفكرة لم تغب عن كثير من قادة الحركات مثل المتنبي حامي الذي ادّعى النبوة ، وفطن إلى ضرورة تأليف كتاب يحاكي به القرآن باللغة

البربرية في منطقة غمارة التي كانت معرفتها بالعربية ضعيفة . والفكرة نفسها راودت الزعامات البروغواطية التي لم تأت كما وصفها أحد الدارسين بأنها رد فعل سلبي ضد العروبة الحضارية واللغوية⁽⁵⁸⁾ بقدر ما كانت تهدف إلى استناد دعوتها إلى اللغة السائدة لدى قبائل المنطقة ، بل إن هذه القاعدة في أسلوب الدعوات لم تخف حتى لدى الزعامات السنية مثل داعية المرابطين عبدالله بن ياسين ، الذي لم يتوان عن استعمال اللسان البربري لشرح أهداف حركته الإصلاحية واستقطاب الأنصار ، سواء داخل الرباط الذي أنشأه في إحدى جزر المحيط الأطلسي ، أو داخل القبائل التي اتصل بها ليثبث دعوته ، ولم يقع اختيار الفقيه وجاج بن زلو عليه بمحض المصادفة ، بل جاء نتيجة معرفته بلهجة قبيلة صنهاجة البربرية في المقام الأول⁽⁵⁹⁾ .

أما ابن تومرت فقد كان أكثر الدعاة ذكاء في توظيف اللغة البربرية للتمهيد لقيام دولة الموحدين ، ومن ثم الوصول إلى السلطة . فإلى جانب ما أسلفنا ذكره حول استعماله تلك اللغة في النهي عن المنكر من خلال نموذج جباة الضرائب ، تجمع المصادر أنه ألف للمصامدة كتاب التوحيد بالبربرية ، وهو كتاب يشمل سبعة أحزاب ، ومعرفة الذات الإلهية وسائر العقائد التي قام بترجمتها جميعاً إلى البربرية⁽⁶⁰⁾ ، فضلاً عن كتاب «المرشدة» .

الشيء نفسه يقال عن كتابي القواعد والإمامة اللذين دونهما الزعيم الموحي بالعربية والبربرية . وكان لهذه الترجمة البربرية أثر إيجابي في كسب القلوب وتكوين الأتباع . وفي هذا السياق يقول صاحب الحلل الموشية معلقاً : «ألف لهم كتاباً سماه بالقواعد ، وآخر سماه بالإمامة ، هما موجودان بأيدي الناس إلى هذا العهد ، ودونهما بالعربي والبربري ، وكان أفصح الناس في اللسان العربي واللسان البربري ينقل بهما إليهم المواعظ والأمثال ، ويقرّب لهم المقاصد ، فجذب نفوسهم واستجلب قلوبهم»⁽⁶¹⁾ ، وهو نص يشي بأهمية دور اللغة البربرية في إنجاح الدعوة واستقطاب الأنصار .

وإلى جانب الكتب السالفة الذكر ، ألف ابن تومرت في مجال الدعاية

لحركته كتباً أخرى باللغة نفسها ، نذكر من بينها كتاب «أعانت وأكوصت» ، و«تاركون إن ييسار» ، و«نوفنا لمجان رب العلمين»⁽⁶²⁾ .

ولم يفت الملزوزي - وهو المؤرخ الذي نهج أسلوب التأريخ بالأراجيز - أن ينظم في إحدى أرجوزاته ما يشير إلى التحول الذي جسده كتاب التوحيد في حقل الأسلوب الدعائي المكتوب بالبربرية⁽⁶³⁾ .

وعلى المنوال نفسه سعى المهدي بن تومرت إلى جعل هذه اللغة وسيلة للتعليم وتكوين أنصار الموحدين . وحسبنا أنه كان يدرّسهم عقيدة التوحيد بالبربرية⁽⁶⁴⁾ . ولم يتوان عن استعمالها في المساجد وخطب الجمعة وتحريض الأتباع ، بل اشترط في خطباء المساجد بالمغرب الأقصى أن يكونوا على دراية تامة باللسانين العربي والبربري⁽⁶⁵⁾ . كما كان من عادات الموحدين وتقاليدهم المتبعة أن يقرأوا مؤلفاته بالبربرية عند ركوب الخليفة في المحافل الرسمية⁽⁶⁶⁾ . ولعل هذا الأسلوب التومرتي في التركيز على اللغة البربرية في مجال الدعوة يحيلنا على ما قام به زعماء الإصلاح الديني في أوروبا المسيحية إزاء اللغة اللاتينية⁽⁶⁷⁾ .

وبالمثل ، سعى الخليفة الموحي عبدالمؤمن بن علي إلى حث الطلبة والحفاظ المكلفين بنشر مذهب الموحدين بين القبائل إلى استعمال اللغة البربرية وسيلة للتواصل والتبليغ ، ولا غرو فقد ورد في إحدى رسائله إلى طلبة بجاية ما يلي : «ويؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي ويتكلمون به أن يقرأوا التوحيد بذلك اللسان من أوله إلى آخر القول في المعجزات ويحفظوه»⁽⁶⁸⁾ .

من جهة أخرى يلاحظ أن الموحدين استعملوا أيضاً اللسان البربري وسيلة لمخاطبة جنودهم وتحميسهم للاستماتة في القتال ، وهو ما حدث في أثناء محاصرتهم مدينة فاس وانتزاعها من يد المرابطين⁽⁶⁹⁾ ، وكذلك إبان حصارهم مدينة مكناسة ، حيث استعملت اللهجة المصمودية مثل «ذأ امطيرايا» من قائد عسكري موحي لإخبار جيشه باندهاشه من جيش المرابطين وكثرته ودقة تنظيمه⁽⁷⁰⁾ .

وفي السياق نفسه ، يذكر ابن غازي⁽⁷¹⁾ ، أنه بمجرد شعور المرابطين بهجوم الموحدين عليهم ومحاصرتهم في مدينة مكناسة ، بدأوا في بناء حصن سموه «تاكراوت» ، وهو اسم بربري معناه المحلة ، وكان مركزاً عسكرياً يستعمل للتحصن والدفاع . وعندما أظهر أصحاب هذا الحصن ضروياً من الشجاعة ، رجع المبعوث الذي كان قد أرسله الخليفة الموحيدي عبدالمؤمن ، فأبدى إعجابه ببسالة المرابطين وخاطبه في ذلكم باللسان البربري⁽⁷²⁾ ، ويرجح ذلك أن اللغة البربرية كانت الأكثر استعمالاً في الحروب ، لكن هذا لا ينفي استعمال اللغة العربية إلى جانب البربرية أحياناً ، شفيعنا في ذلك نص أورده ابن صاحب الصلاة عن شيخ ألقى في إحدى المعارك الجهادية التي خاضها الموحدون ضد المسيحيين خطبة باللغة العربية تارة ، وبالبربرية تارة أخرى⁽⁷³⁾ .

ولا نستبعد أن يكون زعماء الانتفاضات والتمردات ضد السلطة الموحدية قد فطنوا بدورهم إلى أهمية استعمال اللغة البربرية لإنجاح ثوراتهم ، فقد ورد عند صاحب المعجب أن الثائر الجزولي الذي تمرد على السلطة الموحدية سنة 597هـ / 1200م كان يعرف بما معناه في اللسان البربري بابن الجزارة ، مما يشي بشيوع هذه اللغة وتوظيفها في تمرير الخطابات المناهضة للسلطة⁽⁷⁴⁾ . أما قادة الثورات الذين كانوا يجهلون البربرية ، فقد تعرضوا للفشل الذريع ، كما هو الحال بالنسبة لثائر يدعى عبدالرحمن ، وهو من سلالة ملوك القاهرة الفاطميين ؛ إذ باءت ثورته التي قادها بمراكش بالفشل لهذا السبب تحديداً ، وهو ما عبر عنه المؤرخ المراكشي بقوله : «ولم يزل ينتقل في قبائل البربر من موضع إلى موضع ، وفي ذلك كله لا يستقيم له أمر ولا تثبت عليه جماعة ، أوجب ذلك كله كونه غريب البلد واللسان»⁽⁷⁵⁾ .

ويبدو أنه مع حلول القرن الثامن الهجري ، بدأت عملية التعريب تكتسح كثيراً من الحواضر والمناطق المجاورة لها ، ولم يعد أثرها يقتصر على النخبة السياسية والمثقفة ، بل شملت أيضاً الأوساط الاجتماعية الأخرى ، ومن ثم بدأت البربرية تعرف بعض التراجع ، وبخاصة في المناطق القريبة من الأوساط

الحضرية ، وهذا ما يفسر قول الحميري الذي عاش في هذا القرن في سياق حديثه عن مدينة فاس : «وسكن حولها قبائل من البربر ، لكنهم يتكلمون العربية»⁽⁷⁶⁾ . ويعزي البعض هذا التراجع إلى هجرة القبائل الهلالية ، وإلى النقص الديموغرافي الذي أصاب بعض المناطق البربرية نفسها من جراء الأوبئة والمجاعات ، أو بسبب المشاركة المستمرة للبربر في الحملات العسكرية التي كان يشرف عليها الجهاز الحكومي المغربي⁽⁷⁷⁾ .

ومع ذلك لا يمكن تقدير مستوى التراجع الذي عرفته البربرية في نهاية العصور الوسطى ؛ لأن النصوص لا تجيب إلا بكيفية جزئية ، ولا تسمح للبحث التاريخي بإلقاء الكثير من الأضواء .

حصيلة القول إن اللغة البربرية بالمغرب الوسيط تظل محاطة بكثير من الغموض والإبهام لقلة النصوص الواردة حولها ، بيد أن تتبع النصوص القليلة المتاحة تجعل الباحث يستشف أنها كانت لغة التواصل ، على رغم سيادة العربية في المجالات الأدبية والعلمية ومجال العبادات والتنظيم الإداري ، وأنها كانت تنقسم إلى لهجات متباينة ، وقد استثمرها الدعاة والمتنبئون وزعماء الحركات الإصلاحية لإنجاح مشاريعهم السياسية والدينية ، مما يدل على أهميتها في خريطة التطور التاريخي لمغرب العصر الوسيط .

الهوامش والمراجع

* استعملنا في هذا البحث تعبير اللسان البربري بدل الأمازيغي ؛ تجنباً لسوء تأويل المصطلح وربطه بخطابات سياسية ، مع اقتناعنا الكامل بأهمية المصطلح الأخير في التعبير الدقيق عن الهوية البربرية ، غير أن عدم ورود هذا المصطلح في مصادر العصر الوسيط الذي يهم الحقبة التي نعالجها حتم علينا استعمال مصطلح بربري ، على اعتبار أن المصادر هي التي تحدد للباحث مصطلحاته ، وليس العكس . والجدير بالذكر أن صاحب كتاب مفاخر البربر أورد نصاً حول قدوم وفد من ستة أشخاص من البربر على الخليفة عمر بن الخطاب الذي سألهم عن أي أمة ينتمون إليها ، فأجابوا بأنهم من بني مازيغ ، انظر : ثلاثة نصوص عربية عن البربر في المغرب الإسلامي ، تحقيق محمد يعلى ، مدريد 1996 ، ص 238 ، وهذا النص لا يختلف عما ذكره ابن خلدون في نسبهم الذي أرجع نسبهم إلى مازيغ بن كنعان ، انظر : ابن خلدون ، تاريخ ابن

- (8) مارمول، إفريقيا، ج 1، الترجمة العربية، 1984 الرباط: المعارف الجديدة - دار نشر المعرفة، ص 116.

- (15) انظر : إبراهيم القادري بوتشيش ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ، بيروت : دار الطليعة ، 1998 ، ص 12 - 15 .
- (16) DEVERDEN (G), *m Marrakech dés origines a*, 1912 Rabat, 1959 T, 1 p.30
- (17) ظلت المسكوكات المرابطية والموحدية والمرينية تكتب بالحروف العربية ، مثل العملة المرابطية التي كتب فيها : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكتب في الدائرة : «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» . انظر ابن أبي زرع ، *روض القرطاس* ، تحقيق عبدالوهاب بن منصور ، الرباط ، 1973 دار المنصور للطباعة والوراقة ، ص 137 - 138 . كما ورد في بعض النقوش الموحدية : «الله ربنا - محمد رسولنا - القرآن امامنا ثم القرآن حجة الله» . انظر شعبان عبدالرحيم ، *المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط* . رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ ، خزانة كلية الآداب بالرباط ، 1995 ، ص 210 - 211 .
- (18) Terrasse (H), *Histoire du Maroc des origines a letablissement du protectorat*, Casablanca, 1946 T, 1 p.203
- (19) الأصول التاريخية للتعريب ، ص 128 .
- (20) يذكر الحسن بن محمد الوزان أن اللغة المستعملة في مراكش هي البربرية . انظر : وصف إفريقيا ، مؤنس ، ص 34 .
- (21) الأصول التاريخية ، ص 115 .
- (22) حسين مؤنس ، *معالم من تاريخ المغرب والأندلس* ، القاهرة : دار ومطابع المستقبل بالفجالة بالقاهرة ، وصفية زغلول بالإسكندرية 1980 (ط 1) ، ص 157 .
- (23) Gautier, *le passé de l'Afrique de nord: Les siècles obscures*. Paris, Payot, p.394
- (24) روض القرطاس ، ص 98 - 99 .
- (25) البكري ، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ، الجزائر : نشره دي سيلان ، 1911 ، ص 140 .
- (26) *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ، ص 135 .
- (27) الناصري ، *كتاب الاستقصا لدول المغرب الأقصى ج 2* ، دار البيضاء : دار الكتاب ، 1954 ، ص 36 - 37 .
- (28) الإحاطة ، ج 2 ، ص 283 .
- (29) مارمول ، *إفريقيا* ، الترجمة العربية ، 1988 - 1989 طبعة المعارف الجديدة ، الرباط : دار نشر المعرفة ، ج 2 ، ص 57 .
- (30) معيار الاختيار ، تحقيق محمد كمال شبانة ، المحمدية - فضالة (دون تاريخ) ، ص 59 .
- (31) *الونشريسي* ، كتاب المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، منشورات وزارة الأوقاف المغربية ، بيروت : دار الغرب الإسلامي 1981 ، ج 1 ، ص 186 .
- وابن صاحب الصلاة ، *المن بالإمامة* ، تحقيق عبدالهادي التازي ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1987 (ط 3) ، ص 333 ، ص 434 .

- (32) ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت (دون تاريخ) ، ج 5 ، ص 46 .
- (33) المستفاد من مناقب العباد ، ص 33 ، 36 .
- (34) ابن الزيات ، كتاب التشوف ، تحقيق أحمد التوفيق ، البيضاء : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 1984 ، ص 218 .
- (35) المستفاد من مناقب العباد ، ص 37 .
- (36) عنوان الدراية ، تحقيق عادل نهويض ، بيروت : دار الآفاق الجديدة 1979 (ط 2) ، ص 23 ، وهذا هو النص البربري : «إشار أمان أندلسي» .
- (37) التشوف ، ص 401 .
- (38) المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد العربي العلمي ومحمد سعيد العريان ، البيضاء : دار الكتاب ، 1978 (ط 7) ، ص 416 .
- (39) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص 485 .
- (40) قام الباحث ميلود التوري بجمع هذه الألفاظ البربرية الواردة في كتاب البيدق ، انظر كتابه ، الحركة اللغوية ، ص 181 - 182 .
- (41) البيدق : المقتبس من كتاب الأسباب ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة 1971 ، ص 72 .
- (42) تاريخ ابن خلدون ، ج 6 ، ص 301 .
- (43) انظر التراجم الآتية على سبيل المثال ، تراجم رقم 23 ، 37 ، 61 ، 101 ، 136 ، 180 ، 77 ، 90 ، 213 ، 210 ، 217 ، 247 ، 250 ، 253 .
- (44) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص 139-140 . البيان ، ج 1 ، ص 227 .
- (45) أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة ، 1971 ، ص 21 .
- (46) أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، ص 26 .
- (47) إفريقيا ، ج 1 ، ص 116 .
- (48) انظر : إبراهيم القادري بوتشيش ، الإسلام السري في المغرب العربي ، القاهرة ، سينا للنشر ، 1995 ، ص 37 .
- (49) القرطاس ، ص 99 . تاريخ ابن خلدون ، ج 6 ، ص 288 .
- (50) إفريقيا ، ج 1 ، ص 116 .
- (51) التشوف ، ص 401 .
- (52) المعجب ، ص 262 .
- (53) المعجب ، ص 482 .
- (54) ملعبة الكفيف الزهروني ، تحقيق محمد بن شريفة ، ص 9 . وانظر في هذا الصدد : ميلود التوري ، ص 175 - 177 ، وانظر : ديوان ابن قزمان ، تحقيق كورنيطي ، مدريد : المعهد الإسباني العربي للثقافة 1980 ، ص 280 ، 290 ، 570 .

- (55) الأصول التاريخية ، ص 116 .
- (56) نفس الأصول التاريخية ، ص 116 .
- (57) Etudes Orientales, Institut d'Arabisations des villes, (W): ((Arabisation des villes)), Annales de l'Institut, 1938 p.1
- (58) الأصول التاريخية ، ص 131 .
- (59) إبراهيم القادري بوتشيش ، تاريخ الغرب الإسلامي : قراءات جديدة في بعض قضايا الحضارة والمجتمع ، بيروت ، دار الطليعة 1994 ، ص 62 .
- (60) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار وعبدالقادر زمامة البيضاء : دار الرشاد الحديثة - مطبعة النجاح الجديدة ، 1979 ، ص 109 - 110 .
- (61) الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 109 - 110 .
- (62) عثرنا على أسماء هذه الكتب في إحدى نسخ محاذاي الموطأ الموجودة بقسم المخطوطات والوثائق بالخزانة العامة بالرباط ، ص 134 .
- (63) مما جاء في أرجوزته حول عقيدة التوحيد وترجمتها إلى البربرية :
فجاءهم في الحين بالتوحيد مخاطباً بالوعد والوعيد
آلفه قبلاً بلفظ البربر بالعشر والأحزاب ثم السور
انظر : الملوذي : نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط 1963 .
- (64) المعجب ، ص 274 . القرطاس ، ص 181 .
- (65) محمد المنوني ، حضارة الموحدين ، البيضاء : دار توبقال ، 1989 ، ص 106 .
- (66) المعجب ، ص 485 .
- (67) BEL (A), **La religion Mushulmane en Berberie**, Librairie Orientalist, 1938 p.248
- (68) لبفي بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص 132 - 137 .
- (69) البيدق : أخبار المهدي . م . س ، ص 61 .
- (70) الروض الهتون ، ص 9 .
- (71) الروض الهتون ، ص 56 .
- (72) الروض الهتون ، ص 9 . ومما قاله : ((ذأ أمطيرايا)) ومعناه هذا عجب .
- (73) ابن صاحب الصلاة ، ص 411 .
- (74) المعجب ، ص 449 .
- (75) المعجب ، ص 465 .
- (76) الروض المطار في خبر الأقطار . تحقيق إحسان عباس ، بيروت : مكتبة لبنان ، 1984 (ط2) ص 434 .
- (77) Camp, op. cit, p,15 .18